المسلمون فى زمان الفتن
كما أخبر الرسول ﷺ

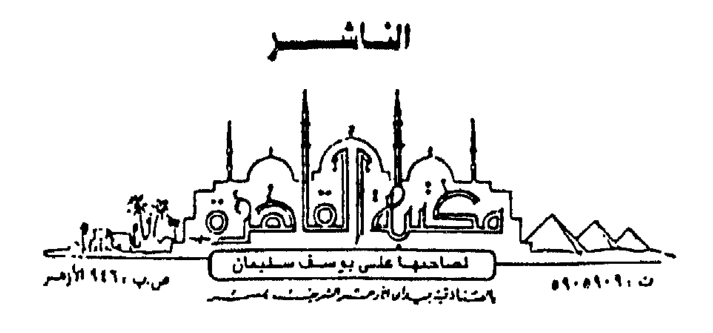
للإمام الفقيه العارف عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى

المسمى بتكميل النعوت فى لزوم البيوت

تحقيق

مجدى بن منصور بن سيد الشورى

الناشر



الطبعة الأولى
رمضان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م فبراير

رقم الإيداع

الناشر مكتبة القاهرة
شارع الصنادقية بالأزهر
ت ٥٩٠٥٩٠٩
ص.ب ٩٤٦ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى شرف عباده المؤمنين فى آخر الزمان بالسكوت، حيث اعتبر الناس المنكر معروفا، والمعروف منكرا، والتبست الصفات الحسنة عليهم بقبائح النعوت، فلزم كل من أطلع على دينه من عباد الله تعالى القنع بالقوت، والإعراض عن مخالطة الناس فى جميع أمورهم بلزوم البيوت. والصلاة والسلام علي سيدنا وسندنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الذى هو بكل الكمالات منعوت، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره وأحزابه الذين ملأت أنوارهم عالم الملك والملكوت(*).

أما بعد. فيقول الفقير إلى عناية مولاه القدير: عبد الغنى بن النابلسى أخذ الله بيده، وأمده بمدده لما يسر الله تعالى الانفراد لهذا العبد الضعيف عن الناس في البيت، والاشتغال بكلام الميت الذى هو كالحى من المنصفين المتقدمين، والإعراض عن مخالطة الحى من أهل هذا الزمان الذى هو كالميت.

نعم الأنيس كتاب ... إن فاتك الأصحاب
يحوى ضروب علوم ... تزينها الآداب
تنال منه فنونا ... تحظى بها وتثاب
لا يُظهر لك سرا ... ولا عليه حجاب
ولا يصدك عنه ... إن جئته بواب
ولا يسوءك منه ... تغضب أو غضاب
ولا يعيبك إن كا ... ن فيك شيء يعاب

(*) الذين ملأت أنوارهم عالم الملك والملكوت: لعله يعنى أنوار علمهم وأنها ملأت الدنيا قرآنا وسنة. والله أعلى وأعلم.

خـــــلاف قـــــوم تراهـم | ليـــــست لهم ألبـــــاب
لـكـنـهـم كـــــــذئـاب | طلس عليـــــهم ثيـــاب
إذا تـفـــــربت منهـم | أرضـــــاك منهم خطاب
وإن تبـــاعـــــدت عنهم | فـكـلـهم نعـــــتـــاب
مــــــــا هـؤلاء بـنـاس | بل هم لعـــــمرى كــلاب
فـــالبـــعـــد عنهم ثوب | والقـــرب منهم عـــقـــاب

وقال آخر

لما رأيت الزمـــان انتكســـا | وليس فى الصحبة انتفـاع
كـل رئيس بـه مـــــلاك | وكـل رأس بنه صـــــــداع
لزمت بيـتى وصنت عـرضـا | بـه من العـــزة اقـــتـناع

وقال الآخر

انفض يديك من الزمـــان وخـيــره | واهجر بنيه كغـز بقلة ضيـره
ولقد صحبت فما وجدت مصاحبا | فى الله أصحبـه ولا فى غيـره

وقال أحمد بن الحسن الترمذى أسمعت أبا نعيم التيمى الطلحى مولى آل طلحة يقول: أكثر تعجبى من قول عائشة رضى الله عنها متمثلة بقول لبيت.

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم | وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

ولكنى أقول:

ذهب الناس فاستقلوا فصرنا | خلفا فى أراذل الشناس
فى أناس نعدهم من عديد | فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت ابتغى النيل منهم | بدرونى قبل السؤال بيأس
وبكو إلى حتى تمنيت أنى | منهم قد أقلت رأسا برأس

ولنصر بن منصور بن الحسن الحنبلى

يزهد فى جميع الأنام | قلة إنصاف من يصحب
وهل عرف الناس ذونهية | وأمسى لهم فيهم مرغب
هم الناس ما لم تجربهم | وطلس الذئاب إذا جربوا
وليتك تسليم عند البعاد | منهم فكيف إذا تقرب

أردت أن أجمع ما وجدت من الأخبار النبوية، والآثار المنبعثة عن خلوص الطوية، المرغبة فى الانفراد عن الناس، لأنى وجدت فى ذلك نفعا كثيرا لا يدرك بالقياس، وقد لا منى فى ذلك الجاهلون، والله بصير بما يعملون، ورأيت اللائق أن يسمى ما جمعته « تكميل النعوت فى لزوم البيوت » والله ولى التوفيق، ومنه الإرشاد والدلالة على أقوم طريق.

* * *

المؤلف | **المحقق**
عبد الغنى النابلسى | **مجدى الشورى**

الانفراد عن الناس فى الفتن

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105) ﴾ [المائدة: ١٠٥].

١ - وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«من جاهد فى سبيل الله كان ضامنا على الله، ومن عاد مريضا كان ضامنا على الله»**(١). رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان واللفظ له. وعند الطبرانى: **«أو قعد فى بيته فسلم الناس منه، وسلم منه الناس»**. وهو عند أبى داود بنحوه. ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه: قال رسول الله ﷺ: **«خصال ست، ما من مسلم يموت فى واحدة منهن كان ضامنا على الله أن يدخله الجنة: فذكر منها: ورجل فى بيته لا يغتاب المسلمين ولا يخير إليهم سخطا ولا نقمة»**(*).

٢ - روى عن سهل بن سعد الساعدى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أعجب الناس إلى رجل مؤمن بالله ورسوله، ويقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويعمر ماله، ويحفظ دينه، ويعتزل الناس»**(٢). رواه ابن أبى الدنيا فى العزلة.

٣ - وعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»**(٣). رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير، وحسن إسناده.

---

(١) «حسن».

أخرجه أحمد (٥/ ٤٤) وأبى خزيمة (١٤٩٥) وأبى حبان (١٥٩٥ - موارد) والحكم فى مستدركه (١/ ٢١٢) والبيهقى (٩/ ١٦٧).

(*) «ضعيف الإسناد جداً».

أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبى قروة وهو متروك كذا فى المجتمع (٥/ ٢٧٧).

(٢) «إسناده ضعيف».

أخرجه ابن أبى الدنيا فى العزلة (ص ١٧).

(٣) «إسناده حسن».

أخرجه الطبرانى فى الصغير (١/ ٧٨) من طريق إسماعيل بن عياش عن شرجيل فى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ مرفوعاً به.

٤ – وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: **«املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وإبك على خطيئتك»**[١]. رواه الترمذى وابن أبى الدنيا والبيهقى، كلهم من طريق عبد الله بن زيد عن على بن يزيد، وقال الترمذى: حسن.

٥ – وعن مكحول قال: قال رجل: متى قيام الساعة يا رسول الله؟

قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط، وتقارب أسواق. قالوا: يا رسول الله، وما تقارب أسواقها؟ قال: كسادها، ومطر ولا نبات، وأن تفشو الغيبة، ويكثر أولاد البغايا، وأن يعظم رب المال، وأن تعلو أصوات الفسقة فى المساجد، وأن يظهر أهل المنكر على أهل الحق، قال رجل: فما تأمرنى؟ قال: فرّ بدينك، وكن حلساً[٢] من أحلاس بيتك»**[٣]. رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا..

٦ – وعن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماضى، والماشى فيها خير من الساعى. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم»**[٤] رواه أبو داود. يعنى: الزموا بيوتكم فى الفتن كلزوم الحلس لظهر الدابة.

٧ – وعن المقداد بن الأسود قال: ايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن السعيد لمن جُنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر فواها»**[٥]. رواه أبو داود. وكلمة (واها) معناها: التلهف، وقد توضع للإعجاب بالشىء.

---

(١) «إسناده ضعيف».
أخرجه الخطابى فى العزلة (١٤) وانظر المجمع (١٠/ ٢٩٩) والشجرى فى أماليه (٢/ ١٥٦).

(٢) الحلس: الكساء يلى ظهر البعير تحت القتب.

(٣) «إسناده مرسل».
أخرجه ابن أبى الدنيا فى العزلة (ص ١٩) مرسلاً.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٦٢) وأحمد (٤/ ٤٠٨) والحاكم (٤/ ٤٤٠) والخطابى فى العزلة (١١) وعبد الرزاق (٢٠٤٨٧).

(٥) «حسن».
أخرجه أبو داود (٤٢٦٣).

٨ - وعن ابن عباس قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه -فقمت إليه وقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداؤك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[١]. رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن. مرجت عهودهم: فسدت. خفت أماناتهم: قلت. من قولهم: خف القوم، أى قلوا.

٩ - وعن ابن عمر أن عمر خرج إلى المسجد فوجد معاذا رضى الله عنه عند قبر رسول الله ﷺ يبكى، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: «اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»[٢] رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقى فى الزهد، وقال الحاكم: لا علة له.

١٠ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه، إلا من تقرب بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن حجر إلى حجر، فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بسخط الله، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يدى زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على أيدى أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه على أيدى قرابته أو الجيران. قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يعيرونه بضيق المعيشة، فعندئذ يورد نفسه الموارد التى يهلك فيها نفسه»[٣]. رواه البيهقى فى كتاب الزهد.

---

(١) «حسن».

أخرجه أبو داود (٤٣٤٣) والطحاوى فى المشكل (٢/ ٦٨) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٤٧) والبيهقى (٨/ ١٩١).

(٢) «حسن».

أخرجه الحاكم (١/ ٤) وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٤٣) والبيهقى فى الأسماء والصفات بتحقيقى (ص ٥٠٠) وأبى الدنيا فى الأولياء (٦) وصححه الحاكم.

(٣) «حسن».

أخرجه الخطابى فى العزلة (٩) من حديث عبد الله بن مسعود والبيهقى فى الزهد (٤٩٧).

١١ - وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها»**(١). رواه الطبراني وأبو الشيخ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب.

١٢ - وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: **«الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر»**(٢). رواه الحاكم والبيهقي.

١٣ - وأخرجه في الجامع الصغير(*) وفي شرح المناوي قال: ولهذا كان مالك بن دينار كثيرا ما يجالس الكلاب على المزابل ويقول: هم خير من قرناء السوء(**) قال رسول الله ﷺ: **«من ازداد رجل من السلطان قربا إلا ازداد من الله تعالى بعدا، ولا كثر أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتد حسابه»**(٣).

١٤ - عن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله ﷺ قال: **«إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك كذلك فائت سيفك ثم اضرب به حتى ينقطع، ثم اجلس في بيتك، حتى تأتيك يد خاطئة، أو منية قاضية»**(٤). وقد وقعت وفعلت ما قال النبي ﷺ. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

---

(١) «ضعيف».

أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ١٦) والخطيب (٧/ ١٩٦) وأبي الجوزي في العلل (٢/ ٢١٦).

(٢) «ضعيف».

أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤٣) وأورده السيوطي في الصغير (٩٦٦٦) ورمز له بالصحة.

(*) انظر شرح المناوي (فيض القدير) (٦/ ٣٧٢).

(**) الأولى: أورده - أو ذكره في الجامع الصغير.

(٣) «حسن».

أخرجه أبو خيثم في الحلية (٣/ ٢٧٤) وأبو داود في العبد باب (٤) وأحمد (٢/ ٣٧١) والبيهقي (١٠/ ١٠١).

(٤) «حسن».

أخرجه أبي ماجة (٣٩٦٢) وأحمد (٣/ ٤٩٣) والطبراني (١/ ٢٧٢) (٩/ ٢٣٣) وابن أبي شيبة (١٥/ ٧/ ٣٧) والحاكم (٣/ ٩٩).

١٥ – وذكر(*) ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي، يغربل الناس غربلة، تبقى ضالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا، وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه. قال: كيف بنايا رسول الله؟ قال: تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»(١).

١٦ – وذكر ابن ماجة عن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال: «زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكنزين الأصفر والأحمر والأبيض، يعني الذهب والفضة، وقيل: إن ملكك إلى حيث زوى لك، وإني سألت الله عز وجل ألا يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامة، وألا يلبسهم شيعا، ويذيق بعضهم بأس بعض، وإنه قيل لي: إذا قضيت قضاء فلا مرد له، وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضا، فإذا وضع السيف في أمتي فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة، وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين، فإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين، كلهم يدعي النبوة، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله عز وجل»(٢).

١٧ – وذكر ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: «أي الناس أفضل؟ قال: «رجل مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قال: ثم من؟ قال: ثم امرؤ في شعب من الشعاب يعبد الله عز وجل، ويدع الناس من شره»(٣).

(*) الصواب: أخرج – وهكذا كل ما يأتي بلفظ ذكر.

(١) «حسن».

أخرجه ابن ماجة (٣٩٥٧).

(٢) «صحيح».

أخرجه ابن ماجة (٣٩٥٢).

(٣) «حسن».

أخرجه البخاري (٤ / ١٨) ومسلم في الامارة (١٢٢) بنحوه وأحمد (٣/ ١٦) (٤ / ٢٣٤) والبيهقي (٩/ ١٥٢) والبغوي (١٠/ ٣٥٦) والترمذي (١٦٦٠).

١٨ - وذكر ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»**(١).

١٩ - وذكر البخارى عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا **«أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة»** وحدثنا عن رفعها قال: **«نيام الرجل النومة فقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم نيام النومة فتنقض الأمانة من قلبه فيبقى أثرها مثل المجل(٢)، كجمر دحرجته على رجلك فنفط منتبرا(٣) وليس فيه شىء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدى الأمانة فيقال: إن فى بنى فلان أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولقد أتى علىَّ زمان ولا أبالى إيكم بايعت، لئن كان مسلما رده على الإسلام، وإن كان نصرانيا رده على ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا»**(٤).

٢٠ - وذكر ابن ماجة عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت كذلك»**(٥).

---

(١) تصحيح «.
أخرجه البخارى ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٢) وأحمد (٢/ ٨٨) أخرجه ابن ماجة (٣٩٩٠) وعبد الرزاق (٢٠٤٤٧) وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٣١) والرولابى فى الكتب (٢/ ٤٦) وأبو نعيم فى تاريخ اصفهان (٢/ ٢٩٧) والطحاوى فى المشكل (٢/ ٢٠١) وأحمد (٢/ ١٠٩).

(٢) المجل: التنفط الذى يصير فى اليد من العمل بفأس ونحوها.

(٣) منتبراً: مرتفعًا.

(٤) تصحيح «.
أخرجه البخارى (٨/ ١٢٩) (٩/ ٦٦/ ١١٤) ومسلم فى الإيمان (٢٣٠) وابن ماجة (٤٠٥٣) وأحمد (٥/ ٣٨٣) والبيهقى (١٠/ ١٢٢) والحميدى (٥/ ٣٨٣).

(٥) «صحيح «.
أخرجه ابن ماجة (٣٩٧٩) وهو فى الصحيحين.

٢١ – وذكر ابن ماجة عن أنس بن مالك قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم»(١).

٢٢ – وذكر أبو داود عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم وأئمة من بعدى يستأثرون بهذا الفىء؟ قلت: إذاً والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى، ثم أضرب به حتى ألقاك. قال: أولا أدلك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقانى»(٢).

ولعمرى فإنه هذا الزمان الذى يختصون فيه بالفىء والغنائم فى الجهاد، ولا يعطونها لأهلها، ولا يقسمونها بين الغانمين، وهو غلول فى حق المسلمين، وخيانة قبيحة فى الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٢٣ – وذكر أبو داود عن أبى سعيد قال: بعث على رضى الله عنه إلى النبى ﷺ بذهيبة فى تربتها، فقسمها بين أربعة منهم الأقرع بن حابس، وعينية بن بدر، فقالت الأنصار: تعطى صناديد أهل نجد وتدعنا؟ فقال: «أنا أتألفهم». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتىء الجبين، كث اللحية فقال: اتق الله يا محمد فقال: «من يطيع الله إذا أعصيته، أيأمننى الله على أهل الأرض ولا تأمنوننى. قال: فسأل رجل قتله، أحسبه خالد بن الوليد، فمنعه وقال: إن من ضئضىء هذا أو فى عقب هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»(٣).

وفى رواية لأبى داود عن أبى سعيد وأنس: «قيل يا رسول الله فما سيماهم؟ قال: «التحليق».

---

(١) ضعيف جداً – إلا جملة الساعة.

أخرجه ابن ماجة (٤٠٣٩) والحاكم (٤/ ٤٤١) والطبرانى (١٩/ ٣٥٧) وأبو نعيم فى الحلية (٩/ ١٦١).

(٢) «حسن».

أخرجه أبو داود (٤٧٥٩).

(٣) صحيح».

أخرجه أبو داود (٤٧٦٤) والبخارى (٦/ ٦) ومسلم (١٢/ ٤٧).

٢٤ - وذكر أبو داود عن مسلم بن أبى بكر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خير من الجالس، والجالس خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي.

قيل: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فيلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: يعود إلى سيفه فليضرب بحده على حرة، ثم ليلج لينج ما استطاع النجاة»(١).

٢٥ - وعند أبى داود عن وابعة الأسدى عن ابن مسعود قال: سمعت النبى ﷺ يقول: فذكر نحو حديث أبى بكر، قال: «قتلاها كلهم فى النار، قال: قلت: متى ذاك يا بن مسعود؟ قال: تلك أيام الهرج، حيث لا يأمن الجليس جليسه. قلت: فما تأمرنى إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: تكف لسانك ويدك، وتكون حلسا من أحلاس بيتك. فلما قتل عثمان طار قلبى، فركبت حتى أتيت دمشق، فلقيت خريم بن فاتك، فحدثته، فحلف بالله الذى لا إله إلا هو أنه سمعه من النبى ﷺ كما حدثها بن مسعود»(٢).

٢٦ - وذكر أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وأشراف اللسان فيها كوقوع السيف»(٣).

٢٧ - وعند أبى داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها فى النار، اللسان فيها أشد من وقوع السيف»(٤). ورواه الثورى عن

---

(١) «صحيح».

أخرجه مسلم فى الفتن (١٣) والترمذى (٢١٩٤) وأحمد (١/ ١٨٥) وأبو داود (٤٢٥٦).

(٢) «ضعيف».

أخرجه أبو داود (٤٢٥٨/ ٤٢٦٠).

(٣) «ضعيف»

أخرجه أبو داود (٤٢٦٤).

(٤) «ضعيف»

أخرجه أبو داود (٤٢٦٥) وابن ماجة (٣٩٦٧) والترمذى (٢٢٨٣).

ليث عن طاووس عن الأعجم.

٢٨ - وذكر أبو داود عن أبى أمية السفيانى قال: سألت أبا ثعلبة الخشنى فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول فى هذه الآية ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل أئتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين منكم»(١).

(١) «ضعيف» لكن فقرة أيام العبر ثابتة.

أخرجه أبو داود (٤٣٤١) والترمذى (٣٠٥٨) وابن ماجة (٤٠١٤).

الرخصة فى اعتزال أئمة الفتنة فى المساجد

١ - وذكر البخارى عن عبد الله بن عدى بن الخيار أنه دخل على عثمان رضى الله عنه، وهو محصور فقال: إنك إمام عامة، نزل بك ما ترى، ويصلى لنا إمام فتنة ونتحرج، فقال «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم»(١).

٢ - وذكر البخارى عن أنس قال: «ما أعرف شيئا مما كان على عهد النبى ﷺ. قيل: ولا الصلاة؟ قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها»(٢).

قال أبو حامد الغزالى فى كتابه(*): منهاج العابدين عليك بالتفرد عن الخلق، لأنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى، بل يمنعونك منها، بل يوقعونك فى الشر والهلاك، قال حاتم الأصم: طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدها: طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت: لا تمنعونى عنها إذًا فمنعونى، فقلت: لا تدعونى إلى ما لا يرضى الله ففعلوا، فتركهم واشتغلت بخاصة نفسى.

ونقول نحن الآن فى هذا الزمان، بعد الألف من الهجرة: رحم الله أبا حاتم الأصم، ورحم أهل زمانه الأول، فإنه قال لهم: لا تدعونى إلى ما لا يرضى الله ففعلوا أى: لا تأمرونى أن أوافقكم على المعاصى التى أنتم مصرون عليها، ففعلوا ما قال لهم. فتركهم واشتغل بنفسه. وفى زماننا هذا كيف لا يدعون كل من اختلط بهم أن يتبعهم فيما هم فيه من الغيبة إذا اغتابوا، والنيمية إذا نموا والكذب إذا كذبوا، والافتراء إذا افتروا، والزور إذا زوروا المعاصى، حتى الكفر الذى يقعون فيه، كما قال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾. ومتى خالفهم فى شىء مما هم فيه جعلوه مخالفا لدين الإسلام

---

(١) صحيح»
أخرجه البخارى (١/ ١٧٣).

(٢) «صحيح».
أخرجه البخارى (١/ ١٧٧).

(*) أبو حامد الغزالى: احد ائمة الصوفية - صاحب أحياء علوم الدين الذى بعد منبع ومستقى الفكر الصوفى- رحمه الله تعالى وغفر لنا وله.

بالكلية، وحكموا عليه بأنه رافضى أو شيعى يخالف أهل السنة والجماعة، وسموا أنفسهم مع ما هم فيه من الإصرار على الكبائر وعلى الكفر الصريح أنهم هم أهل السنة والجماعة، وأن مخالفهم هالك فى الدين، ومتى سمعوا مدح المؤمنين فى كتاب أو سنة افتخروا بذلك، وأطمأنوا إليه، وحسبوا أنهم هم الممدوحون بذلك، وهيهات وهيهات.

وبعد هذا كله، لو فرضنا أن الإنسان وافقهم على جميع ما هم فيه، وعمل مثل أعمالهم التى يعملونها، من المعاصى والمخالفات الشرعية، لا يسلم من ذمهم أيضا، وإذ اتيم له، وإنكارهم عليه عين القبائح التى يعملونها هم أيضا، فالذم والقذف والطعن والشتم منهم لبعضهم بعضا، وكلهم على أعمال واحدة من السوء واقع لا محالة كما شاهدناه وتحققناه منهم من غير شبهة ولا شك اصلا.

فالعزلة عنهم، وترك مخالطتهم بالكلية إلا مقدار الضرورة جدا من الأمور اللازمة شرعا، المفروضة التى لا شبهة فى وجوبها على المكلف، فلا ياسف على الاجتماع بهم لا فى علم ولا فى صلاة ولا أمر من أمور الدين أصلا، لأنهم لم يعملوا الطاعات الشرعية على ما هى عليه، وأنما عملوها وقاموا فيها بالأغراض النفسانية، والهوى النفسانى، فدروسهم وعلومهم كلها اغراض نفس، مشحونة بالرياء والكبر والعجب والحسد وغير ذلك من غير تحاش اصلا، وذلك أمر ظاهر منهم لا يشك فيه أحد، والعلم الذى يتعلمه الجاهل منهم لو صدق فى إرادته للحق لعلمه الحق تعالى خيرا منه كما قال الجنيد رضى الله عنه المريد الصادق غنى عن علم العلماء»(*).

وكذلك صلواتهم وجماعتهم مشتملة على عدة مكروهات كراهة تحريم كما صرح به فقهاؤنا، وأى فائدة فى صلاة يصليها العبد فى جماعة ثم يجب عليه إعادتها وحده، وليست الصلاة بالجماعة فى المساجد التى أمر العبد بالمحافظة عليها، وذكرها الفقهاء في كتبهم هى هذه الجماعة التى فى زماننا هذا فى المساجد، فإن هاتيك جماعة أهل الخشوع، وأهل الحضور والورع واليقين، وهذه جماعة أهل الفسق والإصرار على المناكر، وأهل الفكر فى الدنيا والغفلة والرياء، يقف الرجل فى صلاته وقلبة مستغرق فى الدنيا، فإذا دخل بينهم المؤمن أظلم قلبه.

(*) غير العاملين.

٣ - قال رسول الله ﷺ : **«إنما يلبس علينا صلاتنا قوم يحضرون الصلاة بغير طهور، فمن شهد فليحسن الطهور»**[١].

وقال تعالى: ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة وأتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** ﴾.

٤ - وأخرج الترمذى فى سننه عن أبى الدرداء قال: كنا مع النبى ﷺ، فشهى ببصره إلى السماء فقال: **«هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شىء، فقال زياد بن لبيد الأنصارى: كيف تختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه، ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: ثكلتك أمك زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى ماذا يغنى عنهم»**[٢]. قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: وتسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء، فقال: صدق أبو الدرداء، لو شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا.

وقد اعتبر المجتهدون فى الإمامة تقديم الأعلم بالسنة والأقرأ والأورع، وقد ألفوا هذا كله، ثم صار بينهم شريعة منسوخة تعلم، ولا يعمل بها، ولم يعتبروا الإمام الذى اعتبرته الظلمة، وعينوه للإمامه ونحوها، حيث دفع لهم الرشوة، فقالوا: هذا هو الإمام فى الراتب فهو أولى كيفما كان برأى عقولهم وقياساتهم الوهمية، وأغراضهم النفسانية.

٥ - ولقد ذكر أبو داود فى سننه عن عبد الله بن زمعة قال: لما مرض رسول الله ﷺ وإنى عنده فى نفر من المسلمين، فنادى المؤذن بالصلاة، فقال: **«مروا أبا بكر فليصل بالناس، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر فى الناس، وكان أبو بكر غائبا، فقلت: يا عمر، قم فصل بالناس، فتقدم عمر فكبر، وكان عمر رجلا مجهرا فلما سمع رسول**

---

(١) «ضعيف».
أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ٥).

(٢) «حسن».
أخرجه الترمذى (٢٦٥٣) والدارمى (١/ ٨٧) والحاكم (١/ ٩٩) والطبرانى فى الكبير (١٨/ ٤٣).

الله ﷺ صوته قال: فأين أبو بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس، وفى رواية لما سمع رسول الله ﷺ صوت عمر أخرج رأسه من حجرته ثم قال: «لا. لا. لا، ليصل بالناس أبى قحافة»(١) قال ذلك مغضبا.

فانظروا يا أيها المؤمنون المنصفون، كيف كان النبى ﷺ حريصا على تقديم الأفضل فى الإمامة، والأحق بذلك، مع وجود من كانت إمامته كفاية وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وما ذلك إلا لسر عظيم يعلمه النبى ﷺ، وقد بين لأمته بما غضب له، واهتم لأجله، أن هذا أمر ينبغى الاحتفال له إلى يوم القيامة.

واى إشكال ابلغ مما فيه أئمة أهل زماننا فى المساجد والجوامع، من ترك العلم النافع، ودعوا هم العلم مع الجهل الظاهر والتكبر والعجب والرياء وحب الدنيا، والتكالب على الوظائف، وأكل الحرام، والحسد لبعضهم بعضا إلى غير ذلك.

٦ – وفى سنن النسائى **«عن حذيفة أنه رأى رجلا يصلى فطفف، فقال حذيفة منذ كم تصلى هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت أربعين عاما، ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ ثم قال: إن الرجل ليخفف ويتم ويحسن»**(٢).

ورحم الله أبا حامد الغزالى، فإنه أورد فى كتابة منهاج العابدين يحث على العزلة والانفراد عن الناس فى ذلك الزمان الذى هو فيه، وأما لو شاهد زماننا هذا لأطلق وجوب العزلة ولزوم البيوت، وترك الحضور فى الجمع والجماعات والأعياد، بل كان يحكم بحرمة الحضور لما عليه أهل زماننا اليوم من المخالفات للشريعة المطهرة فى اعتقاداتهم وأعمالهم وأحوالهم، وعباداتهم وطاعاتهم، بل لحكم بالكفر الصريح الذى نراه نحن الآن منهم فى الأقوال والأفعال، ونكرره بقلوبنا والسنتنا بين إخواننا ومن نجتمع به وفى كتاباتنا وتحاريرنا فى العلوم النافعة، ولا نجد من يقبله منا إلا النادر والقليل.

---

(١) «صحيح»
ونظر البخارى (١/ ١٦٩) (٤/ ١٨٢) ومسلم فى الصلاة (٩٤/ ٩٥/ ١٠١) والترمذى (٣٦٧٢) والنسائى (٢/ ٩٩) وأحمد (٤/ ٤١٢/ ٤١٣) (٦/ ٣٤/ ٩٦/ ٢١٠/ ٢٢٩).

(٢) «تصحيح».
اخرجه النسائى (١/ ١٩٧).

ولقد ذكر الغزالي رحمه الله: أن من تيقن بالحقيقة أن الضرر الذى يلحقه من مخالطات الناس بسبب حضور الجمعة والجماعات والأعياد وغير ذلك أعظم من الضرر الذى يلحقه بتركها، فحينئذ يكون له عذر فى ذلك، ولقد رأيت بمكة شرفها الله تعالى بعض المشايخ المتفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام فى الجماعات مع قربة منه وسلامة ماله، فحاورته فى ذلك يوما فى حال ترددى إليه، فذكر أن ما يجده من الثواب لا يفى بما يلحقه من الآثام والتبعات فى الخروج إلى المسجد ولقاء الناس(*).

وجملة الأمر أنه لا عتب على المعذور ، والله تعالى أعلم بالعذر، وهو عليم بذات الصدور. ثم قال بعد كلام طويل: أقول: إذا هاجت الفتن بعضها فى بعض، وتراجع الأمر، وولى الناس عن أمر الدين مدبرين، لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يطلبون عالما، ولا يرمقون مفيدا، ولا يعينهم أمر دينهم البتة، وترى الفتنة تعم العامة، وتدب بين الخاصة، فللعالم العذر فى العزلة، والتفرد، ودفن العلم.

وإذا قال هذا الكلام أبو حامد فى عصره، فماذا نحن نقول الآن بعد الألف والمائة التى بقى منها أربع سنين؟

وقال قبل ذلك فى الكتاب المذكور: اعلم أيها الأخ فى الدين أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه وصف زمان العزلة، وبين نعته ونعت أهله، وأمر فيه بالتفرد، وكان لا محالة أعلم بالمصالح، وأنصح لنا منا لأنفسنا، فإن وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل أمره، وأقبل نصحه، فلا شك أنه كان أعرف بما يصلح لك فى زمانك، فلا تتعلل بالعلل فساد الزمان الكاذبة، ولا تخادع نفسك، وإلا فأنت هالك ولا عذر لك.

٧ - والوصف الذى ذكرنا، منها ما هو فى الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: «**إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا -وشبك بين أصابعه- فقلت: وما أصنع عند ذلك جعلني الله فداؤك؟ قال: الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة**»(١) رواه الترمذى.

(*) بل عليه حضور الجمع والجماعات درأ للفتنة وعملاً بقوله تعالى: «واركعوا مع الراكعين» وكلٌ يؤخذ من كلامه ويرد إلى المعصوم ﷺ.

(١) تقدم رقم (٨).

٨ – وروى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من تجنب إلى الناس بما يحبون وبارز الله بما يكره، لقي الله وهو عليه غضبا به»(١). رواه الطبراني في الأوسط.

٩ – وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان آخر الزمان صارت أمتي ثلاث فرق: فرق يعبدون الله خالصا، وفرقة يعبدون الله رياء، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس، فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس: بعزتى أى شيء أردت بعبادتى؟ فيقول: وعزتك وجلالك أستأكل به الناس. قال: لم ينفعك ما جمعت، انطلقوا به إلى النار، ثم يقول للذى كان يعبده رياء: بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ قال: بعزتك وجلالك رياء الناس. قال: لم يصعد إلى منه شيء، انطلقوا به إلى النار. ثم يقول للذى كان يعبد خالصا: بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى؟ فيقول: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك منى، أردت به ذكرك ووجهك. قال: صدق عبدى، انطلقوا به إلى الجنة»(٢). رواه الطبراني في الأوسط والبهيقى عن مولى أنس ولم يسمه.

١٠ – وعن القاسم بن مخيمرة أن النبى ﷺ قال: «لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء»(٣). رواه ابن جرير الطبرى مرسلا(*).

١١ – وروى عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها، وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا، لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا الجنة كان أهون علينا. قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤن الناس بخلاف ما تعطوننى، هبتم الناس ولم تهابونى، وأحللتم الناس ولم تحلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا إلى اليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب»(٤). أخرجه الطبراني في الكبير والبهيقى.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٧/ ١٨٦).

(٢) إسناده ضعيف جدا.

أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبيد بن إسحاق العطار وهو متروك. المجمع (١٠/ ٢٢٢).

(٣) التذكرة للفتن (١٧١) اتحاف السادة المتقين (٨/ ٢٦٣).

(*) الحديث المرسل: هو ما أرسله التابعى ولم يذكر الصحابى –وهو أحد أقسام الحديث الضعيف.

(٤) الموضوعات لابن الجوزى (٣/ ١٦٢) والتذكرة لابن التيسرانى.

(١٠٤٣) والطبرانى فى الكبير (١٧/ ٨٦).

١٢ - وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: أبي يفترون، أم علي يجترئون، فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران**»(١).

١٣ - وفي الترمذي أيضا عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعدهم قوم يتمنون ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها**»(٢).

١٤ - وفي الترمذي أيضا عن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»(٣).

١٥ - وفي الترمذي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين**»(٤).

١٦ - وقال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**»(٥). وهذا حديث صحيح.

١٧ - وفيه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة والساعة**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٤) وأحمد (١/ ١١٣) وعبد الرزاق (١٨٦٥٠).

(٢) «صحيح».

أخرجه الترمذي (٣٨٥٩)، (٥٢٢١) والبخاري (٣/ ٢٢٤) ومسلم في فضائل الصحابة (٢١٢) جزء منه.

(٣) «صحيح».

أخرجه الترمذي (٢١٩٢) وأحمد (٣/ ٤٣٦) والطبراني (١٩/ ٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٣٠) وابن عساكر في تهذيبه (١/ ٦٥) وابن حبان (٢٣١٣- موارد) والخطيب في تاريخه (٨/ ٤١٨).

(٤) «صحيح».

أخرجه أبو داود الترمذي (٢٢٢٩) والدارمي (١/ ٧٠) (٢/ ٣١١) وأحمد (٥/ ٢٧٨).

(٥) «صحيح».

أخرجه البخاري (٩/ ١٢٥) ومسلم في الإمارة (١٧٠).

كالضرمة بالنار»[1].

١٨ – وذكر الترمذى عن أبى أمية السفيانى قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له: كيف تصنع فى هذه الآية ﴿**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون به مثل عملكم**». **قال عبد الله بن المبارك: وزاد فى غيرها: قيل أيا رسول الله، أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم**»[2]. هذا حديث حسن.

وذكر ابن مسعود فى خبر آخر للحارث بن عميرة أنه قال: إن تدفع عن عمرك فسيأتى عليك الزمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائد العلم، قال: ومتى ذاك؟ قال: إذا اميتت الصلاة، وقبلت الرشاوة وابتيع الدين بعرض يسير من الدنيا، فالنجاة ويحك ثم النجاة.

قلت: وجميع ما ذكر فى هذه الأخبار تراه بعينك فى زمانك وأهله، فانظر لنفسك. ثم إن السلف الصالح أجمعوا على التجريد فى زمانهم وأهله، وآثروا العزلة، وأمروا بها، وتواصوا بذلك، ولا شك أنهم كانوا أبصر وأنصح، وأن الزمان لم يصير بعدهم خيرا مما كان، بل اشر منه وأمر، وهو ما ذكر عن يوسف بن أسباط أنه قال: سمعت الثورى يقول: والله الذى لا إله إلا هو لقد حلت العزلة فى زماننا. قلت: لئن حلت فى زمانه ففى زماننا هذا وجبت وافترضت[*] والذى نقوله نحن: لئن حلت فى زمان الثورى والغزالى كانت هى الإسلام والإيمان فى زماننا، بحيث من تركا واختلط بالناس فإن إسلامه وإيمانه مجرد دعوى لا حقيقة لها فى القلب، كإسلام المنافق، ومن عرف أنصف.

---

(١) «صحيح».

أخرجه الترمذى (٢٣٣٢) وأحمد (٢ / ٥٣٧) وابن حبان (١٨٨٧– موارد).

(٢) تقدم رقم (٢٨).

(*) الوجوب والفرضية فى حاجة إلى دليل قوى.

١٩ - قال رسول الله ﷺ : «اللهم لا يدركني زمان ولا تدركوا زمانا لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب»[١].

رواه احمد عن سهل بن سعد. والحاكم عن أبى هريرة.

٢٠ - وقال وقال ﷺ : «سيكون فى أمتى أقوام يتعاطى فقهاؤهم عُضْل المسائل، أولئك شرار أمتى»[٢]. رواه الطبرانى عن ثوبان. وعضل المسائل بضم العين وفتح الضاد: صعابها.

٢١ - وقال ﷺ : «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون فى الكلام، فأولئك شرار أمتى»[٣]. رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية.

٢٢ - وعن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون فى آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك فليتعوذ بالله منهم»[٤]. رواه أبو نعيم فى الحلية.

٣٣ - وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ قال: «شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به، يأكلون من الطعام ألوانا، ويلبسون من الثياب ألوانا، ويركبون من الدواب ألوانا، يتشدقون فى الكلام»[٥]. رواه الحاكم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥١٠).

(٢) أخرجه الطبرانى (٥/ ٣١٧).

(٣) «حسن».

أخرجه الطبرانى (٨/ ١٢٧) والشجرى فى احالية (٢/ ١٦٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٥/ ٣١٧).

(٥) «ضعيف الإسناد».

أخرجه الحاكم (٣/ ٥٦٨) والفتن فى التذكرة (١٧٤) وابن عدى فى الكامل (٥/ ١٩٥٦) وابن عساكر فى تهذيبه (٧/ ٣٥٨).

السلف وفساد الزمان

وذكر الغزالي قال: عن سفيان الثورى أنه كتب إلى الخواص: إنك فى زمان كان أصحاب محمد ﷺ يتعوذون بالله من أن يدركوه فيما بلغنا، ولهم من العلم والفضل ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه، على قلة علم، وقلة صبر وقلة أعوان على الخير، وكدر من الدنيا، وفساد من الناس، وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: فى العزلة راحة من خلطاء السوء. وفى مثل هذا قيل:

هذا الزمان الذى كنا نحاذره ... فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم تحدث به غير ... لم يُبك ميت ولم يُفرح بمولود
دهر به الحق مردود بأجمعه ... والظلم والبغى فيه غير مردود

ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة أنه قال: قلت للثورى: أوصنى.

قال: أقلل من معرفة الناس. قلت: يرحمك الله، أليس جاء فى الخبر: أكثروا من معرفة الناس فإن لكل مؤمن شفاعة؟ قال: لا أحسبك نلت قط ما تكره إلا ممن تعرف. قلت: أجل. ثم مات، فرأيته فى المنام فقلت: يا أبا عبد الله أوصنى. قال: من معرفة الناس، فإن التخلص منهم شديد.

وقال الفضيل: هذا زمان احفظ فيه لسانك، وأخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر. وعن داود الطائى رحمه الله: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد، قال يحيى بن معاذ: رؤية الناس بساط الرياء، وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حيث تركوا الملاقاة والتزاور. ولقد ذكر أن هرم بن حيان قال لأويس القرنى: يا أويس، صلنا بالزيارة واللقاء، فقال: قد وصلتك بما هو أنفع منهما، وهو الدعاء عن ظهر الغيب، لأن اللقاء والزيارة يعرض منهما التزين والرياء، وقيل لسليمان الخواص: قدم إبراهيم بن أدهم، أفلا نأتيه؟ فقال: لأن ألقى شيطانا ماردا أحب إلى من لقائه. فاستنكر هذا القول، فقال: إنى إذا لقيته أخاف أن

اتزين له، وإذا لقيت شيطانا ماردا امتنع منه. فهذه حال أهل الزهد والرياضة فى ملاقاتهم، فكيف حال أهل الرغبة والبطالة، بل حال أهل الشر والجهالة؟.

واعلم أن الزمان قد أصبح فى فساد عظيم، وأصبح الناس فى ضر كثير فإنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى، حتى لا يكاد يحصل لك منها شىء، ثم يفسدون عليك ما حصل لك، حتى لا يكاد يسلم لك منه شىء، فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس، والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله، والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته.

١ – فإن قيل: لا تعارض بين النصوص اليس النبى ﷺ يقول: «عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان ذئب الإنسان يأخذ الشاردة والناحية والقاصية»(١).

٢ – وقال عليه السلام: «إن الشيطان مع الفذ، وهو من الاثنين أبعد»(٢). فاعلم أن هذه وردت، وأيضا ورد: «الزم بيتك» و «عليك بالخاصة». وأمر بالعزلة والتفرد فى زمان السوء، فلا تناقض فى قوله عليه السلام.

٣ – فإن قيل: اليس الشارع ﷺ قد قال: «رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد»(٣). وفيه زجر عن التفرد. فاعلم أن ذلك فى غير زمن الفتنة.

٤ – وقال ﷺ: «سلامة الرجل فى الفتنة أن يلزم بيته»(٤). رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى موسى.

واعلم أن الفتنة المقتضية للعزلة عن الناس فى زماننا هذا ما أخبر عنه النبى ﷺ كما رواه فى صرائح الأحاديث التى قدمناها، ومنها: أن تفشوا الفتنة، أى تكثر، وقد فشت الآن وكثرت حتى وصل الناس إلى حد استحلالها، وأعانهم على ذلك علماء السوء، فيطعنون فى الرجل ثم يقولون: هو مجاهر بالمعاص، ولا تحرم غيبة المجاهر بالمعصية،

---

(١) «حسن الإسناد».
أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥) والطبرانى (١٢/ ٤٤٧) والنسائى وغيرهم.
(٢) أخرجه الشافعى فى مسنده (٢٤٤) والخطابى فى العزلة (٤) وابن أبى عاصم (١/ ٤٢) وابن عساكر (٦/ ٩٦) وابن حبان (٢٢٨٢– موارد).
(٣) «ضعيف».
انظر التذكرة للفتن (٣٧) والعراقى فى المغنى (٤/ ٣٥٩) وكشف الخفاء (١/ ٥٢٦).
(٤) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس (٣/ ٣٥٧).
مجموع الأحاديث (٥٥) حديثًا.

والعامة تقول: نحن ما قلنا إلا صدقا.

ومنها: تعظيم أرباب الدنيا، بحيث يغفرون لهم كل معصية، ويسمونها طاعة، طمعا فى دنياهم، واحتقار الفقراء جدا، بحيث يعدونهم محرومين أشقياء.

ويقولون: لو أن الله تعالى راض عنهم لرزقهم الدنيا وأغناهم.

ومنها: ظهور أهل المنكر على أهل الحق، فترى المؤمن المتقى الخائف على دينه وعلى نفسه من الزلل بين يدى المنافق والفاسق والفاجر الذى لا يبالى فى أى دين هو بعد رواج دعواه الإسلام والإيمان ترى هذا المؤمن بين الناس من هذا الصنف يؤذونه بأليم النكال، ويفترون عليه بقبيح الأعمال والأقوال، فى عرضه وفى دينه وفى عقله، ومعهم على ذلك أعوان السوء، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

فهذه الأمور وأمثالها هى الفتن التى هى كقطع الليل المظلم، ومن كثرة اعتبار أهل الزمان عليها، ووقوعهم فيها من غير وجود منكر فيها أصلا لا يعرفونها، ولا يعدو لها شيئا، وربما يفضل بعض المغرورين زمانه هذا على الزمان الماضى، فيمدح أهله من كثرة الجهل، وعمى القلب، وانطماس البصيرة، بأكل الحرام، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، وأين ذلك الزمان زمان المحبة بين أهله من زمان النفاق والعدوان.

أخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن أبى الدرداء قال: مالكم لا تحابون وأنتم إخوان على الدين، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو اجتمعتم على أمر تحاببتم، ما هذا إلا من قلة الإيمان فى صدوركم، ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها لكنتم للآخرة أطلب، فبئس القوم أنتم إلا قليلا منكم.

لقد خاطب قوما وجدهم كذلك، والآن جميعهم سالكون فى هذه المسالك، فالعز فى العزلة، والذل فى الخلطة، وأول الغيث قطرة، والعاقل يزم نفسه بزمام العقل ويلجمها بلجام النقل، ولا يترك النفاق ينبت فى قلبه بالمخالطة نبات البقل.

أئمة يعتزلون الناس

وممن وجدنا أنه لزم بيته الإمام الفقيه الحنفى الحسن البزدوى أبو ثابت الإمام ابن الإمام، ولد بسمرقند، ولما مات أبوه حمله عمه القاضى أبو اليسر المعروف بالصدر إلى بخارى، ورباه أحسن تربية، ونشأ مع ولده، وتفقه على عمه، ثم انتقل إلى مرو، وسكنها مدة، ثم لما مات ابن عمه أبو المعالى القاضى أحمد بن أبى اليسر منصرفا من الحجاز ولى القضاء ببخارى، وبقى على ذلك مدة، ثم صرف عنه، وانصرف إلى بزدة، وسكنها، وكان حسن السمت ساكنا وقورا ملازما بيته حسن الصلاة. قال السمعانى: سمعت منه المسند الكبير لعلى بن عبد العزيز فى ثلاثين جزءا، وقد ولد بسمرقند فى نيف وسبعين وأربعمائة، ومات سنة سبع وخمسين وخمسمائة. كذا فى كتاب الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لعبد القادر القرشى.

وممن لزم بيته أيضا الفقيه الحنفى إبراهيم بن رستم أبو بكر المروزى، أحد الاعلام، تفقه على محمد بن الحسن، وروى عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم المروزى، وأسد بن عمرو الجبلى، وهما ممن تفقها على أبى حنيفة، وسمع من مالك والثورى وسعيد وغيرهم. قال الدارمى سألت يحيى بن معين عن إبراهيم بن رستم فقال: ثقة. وعرض عليه المأمون القضاء فامتنع، وانصرف إلى منزله، فتصدق بعشرة آلاف درهم.

وممن لزم بيته الفقيه أبو جعفر الهندوانى. قال عبد القادر القرشى فى الجواهر المضيئة فى ترجمة إبراهيم بن مسلم أبو إسحاق الشكانى، نسبة إلى سكان قرية من قرى بخارى، وهو فقيه فاضل، تفقه على أبى بكر محمد بن الفضل، قال أبو كامل البصرى: سمعت من أبى إسحاق الشكانى يقول: كنا فرغنا من تعليق الفقه، وكنا أهل الصدر فى مجلس الإمام أبى بكر محمد بن الفضل، حتى حمل الفقيه أبو جعفر الهندوانى من بلخ، فسرحنا الإمام إليه للمؤانسة وقال: ذاكروه بالمشكلات حتى يتأنس بكم الفقيه، ولا تزيدوه وحشة الوحدة.

وممن لزم بيته أيضا الفقيه الحنفى إبراهيم بن محمد بن إبراهيم من ذرية قيس بن وائل بن امرئى القيس بن عامر الصحابى، وهو الفقيه القاضى، تفقه على علىّ بن عبد الله

الدامغاني، وكان أنظر أصحاب أبي حنيفة في زمانه، وكان ينوب عن قاضي القضاه الزينبي إلى أن كبر وعجز عن الحركة وقعد في داره.

وممن لزم بيته الفقيه الحنفي أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن عبد الملك القاضي الدامغاني أبو الحسن؛ وكان فاضلا من بيت علم، قال عبد القادر القرشي: ورأيته ملازما داره أول ورودي بغداد ليلة الأربعاء حادي عشر من جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة.

وممن يظهر أنه كان ملازما دارة الإمام الجليل أحمد بن علي أبو بكر الوراق شارح مختصر الطحاوية ذكر في القنية أنه خرج حاجا إلى بيت الله الحرام، فلما سار مرحلة قال لأصحابه: ردوني ارتكبت سبعمائة كبيرة في مرحلة واحدة، فردوه.

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة(*) في ترجمة شعبة بن الحجاج من المحدثين قال: كان يقول: والله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث، ولو أردت الله خرجت إليكم، ولو أردتم الله ما جئتموني، ولكنا نحب المدح ونكره الذم.

وذكر السيوطي في طبقات النحاة في ترجمة الشيخ الإمام محمد بن يوسف شمس الدين القونوي الحنفي الإمام الزاهد الأوحد الكبير، كان إماما في عصره، أقبل آخر عمره على الحديث، ولم يشتغل بغيره، وكان صالحا دينا زاهدا، وكان التقي السبكي يبالغ في تعظيمه ويقول: لا أعلم اليوم مثله في الدين والعلم، وكان لا يخرج من بيته لجماعة ولا لجمعة(**).

وذكر أيضا في ترجمة أبي بكر بن أحمد بن دمين: كان فقيها نبيلا عالما عارفا بالفقه وأصوله والنحو واللغة والحديث والتفسير ورعًا زاهدًا صالحا عابدا متواضعا حسن السيرة قانعا باليسير، كثير الصيام والقيام، ووجيها عند الخاص والعام، يحب الخلوة والانفراد.

وذكر في ترجمة أبي بكر بن محمد بن قاسم المرسي: اشتهر فضله وشاع، وكان مرضي الطريقة، يحب الانقطاع والخلوة.

وذكر في ترجمة الحسن بن أحمد العطار أبي العلاء الهمداني: كان إماما في علوم

(*) ابن قتيبة أحد أئمة الإسلام وصاحب الصفات الكثيرة ومن أشهرها «تأويل مشكل الحديث».

(**) لعله لكبر سنه أو مرضه والله أعلى وأعلم.

القرآن والحديث، معروفا بالزهد وحسن السيرة فى الطريقة، والتمسك بالسنن، وله تصانيف فى أنواع من العلوم، وكان عفيفا لا يتردد إلى احد، ولا يقبل مدرسة ولا رباطا، وإنما كان يقرىء فى داره، وشاع ذكره فى الآفاق، وكانت السنة شعاره، ولا يمس الحديث إلا متوضئا.

ومنهم أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهرى البرتى، الفقيه الحنفى، أستاذ الطحاوى، حدث بالكثير، وكتب وصنف المسند، قال الخطيب(*) كان ثقة حجة، وقد لزم بيته، واحتفل بالعبادة حتى مات رحمة الله تعالى.

وذكر الخطيب ان المترجم رأى رسول الله ﷺ فى النوم وهو جالس فى الموضع، فدخل عليه أبو العباس أحمد بن محمد البرتى، فقام إليه رسول الله ﷺ وصافحه، وقبل بين عينيه، وقال: مرحبا بالذى يعمل بسنتى وأثرى، قال: وكان إذا دخل أبو العباس البرتى إلى العلاء بن صاعد قبل بين عينيه وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل بك، مات سنة ثمانين ومائتين.

ومنهم داود بن نصير الطائى، كان ممن درس الفقه وغيره من العلوم، ثم اختار بعد ذلك العزلة، كان محارب بن دثار يقول: لو كان داود فى الأمم الماضى لقص الله علينا من خبره، وكان ابن المبارك يقول: وهل الأمر إلا ما كان عليه داود. وقد لزم بيته عشرين سنة. قال الطحاوى: كان إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة يقول: قال محمد بن الحسن: كنت آتى داود الطائى فى بيته، فأساله عن مسالة، فإن وقع فى قلبه أنها مما أحتاج إليه لأمر دينى أجابنى فيها، وإن وقع فى قلبه أنها من مسائلنا هذه تبسم فى وجهى وقال: إن لنا شغلا، إن لنا شغلا.

ومنهم محمد بن محمد بن أحمد السمرقندى، كان من فقهاء الحنيفة، وكان شيخا حسنا فاضلا جميل الطريقة، متدينا لازما لبيته، قليل المخالطة للناس، مات سنة إحدى وعشرين وستمائة.

ومنهم مسلم بن سلامة بن شبيب النفيعى. قال ابن العديم: كان فقيها فاضلا، قرأت له بيتين أجازينهما بعد بيتين هما لعبد المحسن الصورى، وهما.

(*) العلامة المحدث صاحب تاريخ بغداد وهو يقع فى أربعة عشر مجلداً. وغيرها من التصانيف.

انست بوحــدتى حــتى لو انى   رايت الأنس لا ســتوحــشت منه
ولـم تدع التـجـارب لى صـديقـا   امــــيل إليـــه إلا مـلـت عنـه

ومنهم يونس بن إبراهيم بن سليمان الصرخدى بدر الدين الحنفى، كان شيخا فاضلا عارفا بالنحو واللغة، محبا للانفراد، مات سنة سبع وتسعين وستمائة بصرخد.

رفى كتاب المعارف عن الواقدى(*) قال: كان مالك بن انس يأتى المسجد، ويشهد الصلوات والجماعة والجنائز، ويعود المرضى ويجلس فى المسجد، ويجتمع إليه أصحابه، ثم ترك الجلوس فى المسجد، فكان يصلى وينصرف إلى منزله، وترك حضور الجنائز، فكان يأتى أصحابها فيعزيهم، ثم ترك ذلك كله، فلم يكن يشهد الصلاة فى المسجد ولا الجمعة، ولا يأتى أحدا فيعزيه، ولا يقضى له حقا، واحتمل الناس له ذلك، فيقول: اليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره.

وإذا كان المطر والطين مقدرا من الأعذار الشرعية فى صدر الإسلام، لأن به يحصل ادنى حرج على المكلف، والحرج مرفوع شرعا، فكيف بما يحصل به أكبر حرج، وادهى مصيبة فى الدين من المناكر التى تظهر.

وفى طبقات المالكية لابن فرحون العمرى قال فى ترجمة احمد بن خالد بن يزيد من أهل الاندلس يعرف بابن الحباب، كان إماما لم يكن بالأندلس افقه منه، ومن قاسم بن محمد بن قاسم، وغلب عليه آخر عمره نشر العلم، وكانت امه ترى وهى حامل به من تقول لها: فى بطنك نطفة تضىء منها الدنيا، وتسمع منه علما كثيرا. وألف مسند حديث مالك، وكتاب فضائل الوضوء والصلاة، وكتاب قصص الأنبياء، ولم تزل على الانقباض والعبادة ولزوم بيته، ونشر العلم، إلى أن توفى ليلة الاثنين منتصف جمادى الآخرة سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة. ومولده سنة ست وأربعين ومائتين.

وذكر فى ترجمة احمد بن عمر على بن هلال الربعى انه نشأ إماما عالما فاضلا يفتى فى علوم شتى، ولو تآليف عديدة، منها شرح ابن الحاجب الفقهى فى ثمانية أسفار

(*) هو محمد بن عمر الواقدى: متروك الحديث مع سعة علمه.

كبار، وله شرح على كافية ابن الحاجب فى النحو وتفسير آية الكرسى، وغير ذلك، وكان مع مجموع فضائله حامل الذكر، كثير العزلة عن أهل المناصب، بل عن الناس، ما عدا خواص طلبته، ونسأل الله تعالى أن يصلح الأحوال، ويختم بحسن المرجع والمآل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أشرف أصحاب وأكمل رجال وآله(*).

وقد تم ما أردنا جمعه فى هذه اللمعة نهار الثلاثاء التاسع عشر من شوال سنة ست وتسعين وألف، والحمد لله رب العالمين.

« سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وكتبه مجدى بن منصور بن سيد الشورى

* * *

تمت بحمد الله

(*) انظر كتاب العزلة للخطابى.

فهرس كتاب المسلمون فى زمان الفتن
أو تكميل النعوت فى لزوم البيوت

عنيت بطبعه ونشره وتوزيعه

مكتبة القاهرة

ت: ٥٩٠٥٩٠٩

الأزهر ص . ب ٩٤٦ العتبة

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع

٩٦ / ٣٩٩١